الثورة
www.althawranews.net
السبت 19 جمادى الثانية 1435هـ 19 أبريل 2014م العدد 18048
Saturday : 19 Jumada Althania 1435 - 19 April 2014 - Issue No. 18048



# تيم ماكنتوش سميث وكتابه "اليمن: رحلات المتيّم المهووس في بلاد القاموس"

أ.د. مسعود عمشوش*

يُعد تيم ماكنتوش سميث (Tim Mackintosh-Smith)، اليوم، أحد أشهر الكتاب البريطانيين المعاصرين، وأكثرهم ارتباطا بأدب الرحلات والسفر، وبشخصية الرحالة العربي المسلم: شمس الدين الطنجي المشهور بابن بطوطة. وخلال مسيرته الأدبية والبحثية، وتجواله في العالم، ألف ماكنتوش سميث عددا من الكتب التي تتبع فيها خطى ابن بطوطة، وتعد من بين أفضل ما كتب في أدب الرحلات. وقد أخرجت قناة الـ (BBC) البريطانية سلسلة من الأفلام الوثائقية مستوحاة من مؤلفاته: (أسفار مع ابن طنجة) عام 2001م، و(قاعة الألف عمود) عام 2005، و(الوصول إلى اليابسة) عام 2010م.

ومنذ أربع سنوات، يقضي ماكنتوش سميث معظم وقته محاضرا حول أدب الرحلات العربية في جامعة هارفارد، والجمعية الجغرافية الملكية بلندن، ومدن أخرى كثيرة. وقد فاز كتابه الثالث من ثلاثية ابن بطوطة، بجائزة (أولدي) لأفضل كتاب رحلات 2010م. وفي العام نفسه منحه المركز العربي للأدب الجغرافي جائزة ابن بطوطة الفخرية، وأدرجت مجلة نيوزويك اسمه ضمن أفضل اثني عشر كاتب رحلات في القرن العشرين.

وقد تخصص ماكنتوش سميث في اللغة العربية في جامعة أكسفورد. وعندما سمع –عام 1981م - بأن اليمن هي البلاد الذي يتحدث الناس فيها لغة عربية نقية وصافية، قرر أن يقضي فترة دراسته التطبيقية فيها. وقد تحدث عن ذلك في مقدمة كتابه الأول (اليمن؛ رحلات المتيّم المهووس في بلاد القاموس Yemen: Travels in Dictionary Land)، على النحو الآتي:

"استدار أستاذي المشرف عن شاشة كمبيوتره مُحتجًّا. "اليمن؟ لماذا تريد الذهاب إلى هناك؟" ويبدو أن اقتراحي سَبب للأستاذ صدمة لم تكن متوقعة. فمن عادته ألا تنتزعه من مدونته عن الشعر الأندلسيّ الغراميّ إلا كارثة جبارة حقيقية؛ كَخَطأ في حركة إعراب آخر كلمة، أو تَهَجّي أداة التعريف خطأً.

" قا ... قابلتُ يمنياً قال لي إن عربية اليمن هي أقرب لهجة إلى العربية الفصُحَى".

ابتسم ابتسامة طويلة فيها ألم وخيبة أمل، كفقرة فم دميةِ الأراجوز وهي تصدر أصواتا من جوفها: "كلهم يقولون الكلام نَفسَه عن لهجاتهم، أيها الصبي الغَبي. اليمن! امتعض فمه حول الكلمة كأنها كانت فاكهة مقيتة مُرّة. ليموناً فجّة، وأضاف: "لِمَ لا تقصد مكانا "محترماً" آخر ... القاهرة، أو عَمّان، أو تونس؟ [...]

وفي خاتمة المَطاف لانت عريكة أستاذي المشرف – حتى أنه حباني بفيض من بَرَكات رضاه – هذا مع أنّه حذّرني من مغبة الغياب المتطاول. وهكذا عزمت على شدّ الرّحال لاكتشاف بلد القاموس على صعيد الواقع، ولربما كان من قصدي، نتيجة لذلك، أن أفهم الشعب الذي يقطن البلد. ومنذئذ، وأنا حِل بهذا البلد، وعلى عهده القديم مقيم".*

وقد قرر ماكنتوش، حقّا، أن يجعل من صنعاء مقاما لسكنه منذ أن وطأتها قدماه عام 1981م. وفي البداية، عمل أيضا مدرسا للغة الإنجليزية في المجلس الثقافي البريطاني بالمدينة. وطلبت منه إدارة المجلس أن يرافق الروائية الأيرلندية إدنا أوبراين حينما زارت صنعاء عام 1991. وقد سألته الروائية الأيرلندية خلال هذه الزيارة: "كيف يمكن أن تعيش في مكان مثل هذا، ولا تكتب عنه؟ إنها جريمة"! لذلك شرع ماكنتوش في الكتابة عن اليمن. وفي عام 1997، نشر أول كتبه: (اليمن: رحلات المتيم المهووس في بلاد القاموس Yemen: Travels in Dictionary Land).

وفي عام 2000م، اتفق مركز عبد الله فاضل فارع للدراسات الإنجليزية والترجمة- جامعة عدن، (الذي كان يسمى حينذاك مركز الدراسات البريطانية والأمريكية) مع المجلس الثقافي البريطاني بصنعاء على ترجمة ماكنتوش سميث عن اليمن. وكُلّف الأستاذ عبد الله فاضل فارع بالقيام بالترجمة. وقد أنجز الترجمة فعلا بعد نحو ثلاث سنوت، وسلم نسخة من مخطوطة الترجمة للمركز الذي تولى مهمة طباعتها بالآلة الطابعة، وسُلم نص الترجمة مطبوعا للمجلس الثقافي البريطاني، الذي –وفق الاتفاقية المبرمة- يمتلك حقوق النشر. وحتى اليوم لم تصدر الترجمة المطبوعة في كتاب.

ومن خلال قراءتنا لمخطوطة الترجمة التي سُلمت للمركز، نلمس أن الأستاذ عبد الله فاضل فارع قد ظل يراجع ويصوب الترجمة، حتى بعد أن قام بتبييضها بخطه الأنيق. ونلمس أيضا حرصه على تشكيل الكلمات، والابتعاد عن الأخطاء الشائعة. فهو، مثلا، يصرُّ على وضع حرف الجر أمام (خلال) و(أثناء).

ولا شك أن ثقافته الواسعة، ومعرفته بمختلف جوانب الحياة في اليمن، قد مكنتاه من العثور على الكلمات العربية المناسبة، وكذلك أسماء العلم والمسميات اليمنية (مثل حرضة وسلتة والشانني)، التي لن يستطيع مترجم غير يمني كتابتها بشكل سليم.

ومن الطريف أيضا أن يجاري الأستاذ عبد الله فاضل فارع المؤلف ماكنتوش سميث في كتابة أسماء العلم وفق نطقها (الصنعاني). ففي صفحة (15) من النص الأصل، مثلا، يكتب المؤلف (Ya Ali! Ya Alayyy!)، ويكتب المترجم: (يا عَلي! يا علاي ي ي!).

وبشكل عام، يتبيّن لنا أن الأستاذ عبد الله فاضل فارع قد وظّف في ترجمته لكتاب ماكنتوش سميث المعايير نفسها، (الأمانة والدقة، وفصاحة اللغة، واستخدام الكلمات الجزلة)، التي التزم بها في ترجمة مجموعة (رجال بلا نساء) لهيمنجواي، التي صدرت عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر عام 2007م.

ويتضمن كتاب (اليمن؛ رحلات المتيم المهووس في بلاد القاموس Yemen: Travels in Dictionary Land) عرضا شاملا للحياة المعاصرة في اليمن من خلال عيون بريطاني قرر أن يجعل من صنعاء مقاما له. وفي ثنايا ذلك العرض نعثر على معظم ما قاله الرحالة الغربيون عن مناطق اليمن المختلفة، بما في ذلك الأساطير والأحكام المسبقة. وقد أضاف إليها ماكنتوش سميث كثيرا من المقولات التي لم أقرأها في كتب الرحالة الغربيين الآخرين عن اليمن. فهو، حينما يتناول تعددية الأعراق في عدن (أو كوسموبوليتها)، مثلا، يكتب:

"عَدَنَ حظيت بكثير آخرين من السكان النّابين عن المألوف، والزوار الطارئين: منهم الصوفي الفائق العيدروس من القرن الخامس عشر، الذي نَجّى سفينة أوشكت على الغرق بأن دخل في غيبوبة، وألقى بمسواكه نحو قمة جبل، فطار منها المسواك وسد الخلل في هيكل السفينة؛ ثم أمير البحر العثماني – سليمان الطواشي- الحيوان أكثر منه إنساناً، الذي دعا حاكم عدن ليتفقد سفينة قيادَته، ثم شنقه إلى طرف عارض شراعها؛ وهينز، الإنجليزي الذي سلطن نفسه، وفي 1839، وضع حجر الأساس لثراء عدن التجاري الحديث، ومات متأثرا بإيداعه في سجن الدَّين في مُمْبَاي؛ والكومودور ماكلوري، "البدوي الطائر" المسترخي في شرفته المسقوفة، في فمه سيجار، وبيده مروحة صينية عريضة؛ وأناس مثل هُيُوسُكْتْ، متخذاً طريقه ليجمع 27.000 نموذج من الحشرات في يمن المرتفعات، والذي كان رأيه حَسَناً بعدن "مكاناً يسترعي الاهتمام ويستولي على محبة قلوب البشر"، وآخرون مثل فيتا ساكفيل-وست التي اعتبرت عدن جحيماً جافة ملْحَةً، وبكل اقتضاب أكثر زوايا العالم تنفيراً للنفوس البشرية؛ و رامبو الذي استرسل مع ملله مقيما في طابق فوق مستودع تجارى في كريتر؛ وكل شذاذ الآفاق الطارئين كالطيور القواطع مثل المد والجزر حول موانئ العالم الكبرى- تجار من مصر البَطَلسية ومن جزيرة كَتْش، ومن كانتون وكوروماندل، أحابيش وفَارْسِيِّين، وهندوك من حارتي موتاهم، وبارسيين يتركون موتاهم لجوارح الطير على "بروج الصمت"، ويعتمرون قبعات مثل أغطية سطول الفحم، تجار من روايات كونراد، ومغامرون خارجون من كتب بوكان؛ وكل وسائل الاتجار- أدلة سفن وموظفو موانئ، جباة ضرائب يهود، خزنة أموال رسوليين يحصون محتويات صناديق النقود المتجهة الى تَعزّ، وعمال شحن وتفريغ صومال، الذين يصففون شعرهم مثل خيوط شعر كلاب المنازل الروسية، ويمرغونها بالطين الأحمر الياجوري، ويمنيون من الجبال قاصدين العيش والإقامة في كاريديف، وَويلزيُّون مجندون من الأودية واصلون لكي يموتوا من ضربات الحر في عدن؛ بحارة سمر البشرات من دار السلام، وجنود انفار يشوه وجوههم حب الشباب من رُسْتُوف على نهر الدون، والرئيس سالم ربيع علي تَثْبُتُ إدانته بأخطاء في سنة 1979 تتقزز منها النفس، ويُعدَمُ رمياً بالرصاص. وأكثر غرابة من كل من سبق، أولئك الزائرات الآخران من أقاصي بلاد الشمال اللذان أقبلا يدوسان ذيل فستان بريتانيا الملوث، محوطين بحشد من قوميسارات الاتحاد السوفيتي من الأبراتشيكيين والمنظرين ومدربي رقص الباليه – ماركس ولينين. فإذا كانت عدن قد استقبلت كل من هب ودب ممن سبق ذكرهم ذاهبين آيبين فما الذي كان ليمنعها عن استضافة جنى من الجحيم أو حَواري من صحابة المسيح؟"

ومن الواضح كذلك أننا نلمح فيما كتبه ماكنتوش عن دور الحضارم في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا أثر الخطاب الاستعماري الغربي؛ فهو يصف ذلك الدور في الفصل السابع المكرس لحضرموت، قائلا:

"وبعد قضاء بعض ساعات هدراً بلا طائل نشطت وفتحت القسم الخاص بحضرموت من كتاب تاريخ المستبصر لابن المجاور الذي حملته معي بعد شرائه. ولربما كان فتحي له إذ ذاك في غير محله، حيث يقول: "وليس في عالم الكون والفساد أَخشن ناساً من أهلها (حضرموت)، ولا أكثر من شرهم وأقل من خيرهم، كثير الذم لبعضهم بعضاً، قليلو الذمة على من يستجير بهم، كثير الدم من المقتولين. . . ولهذا سمي إقليم حضرموت الوادي المفتون. ومما يزيد الغرابة تمادياً، أن أناساً كالحضارم استعمروا الأرض من "السواحل" في شرق أفريقيا إلى الفيليبين في المحيط الهادئ، لم يبدوا أنهم معتادون على ركوب السيارة".

ومثل الكتاب الغربيين الآخرين الذين كتبوا عن اليمن، ضمن ماكنتوتش سميث كتابه عن اليمن – الذي صدرت له عام 2007م طبعة أمريكية بعنوان: (اليمن ذلك المجهول Unknown Yemen)- عناصر غرائبية، تهدف في المقام الأول إلى جذب القارئ الغربي، وشد انتباهه. ففي نهاية الفصل السابع، يكتب:

"لقد اضطررت أن أسكت عن مَوَاد كثيرة كنت أبغي تضمينها عن سواحل اليمن (تروي الكثيرة منها بطريقة عجلى مقتضبة) كما يقول نيبور عن الحكايات العربية (مع ما فيها مما يثير العجب) مثل: قصة أحد سلاطين المكلا المُحْدَثين الذي اعتاد أن يلقى القبض على الشابات المستخدمات في قصره في أثناء ما كن يتسللن عَشْراً عَشْراً من خلال قناة ماء جارية من القصر. ومثل جار له من "بالحاف" كان يلقي بأعدائه إلى البحر بعد أن يودعهم في سحارات الشاي المثقبة، وكلما كانت كراهيته للخصم المُغْرَق أشد كانت ثقوب الصندوق أضيق؛ ومثل إحدى القبائل التي أُمُّها عروسة بحر؛ وأخرى تصطاد الغزال بالركض وراءه وإمساكه من ساقيه الخلفيتين، وتلعب والجمال "نطة الضفدع"، وعن قريتين كان سكانهما ذات يوم من عام 1196م يزاولون أعمالهم الاعتيادية اليومية سَمَتًا إلى أجواز الفضاء صعدا ولم ير لهما أحد أثراً بعد؛ وعن مجاذيب صوفيين يطعنون نفوسهم ويتدلون بأعناقهم من أعمدة مدهونة بالسمن؛ وعرائس يضفرن شعر عاناتهن لينتهما عرسانهن في ليالي دخلاتهن؛ وعن امرأة قضت كل عمرها منكوسة على رأسها، ولم تُشَفَ من شقلبتها إلاّ بعد أن أمطرت عليها السماء شُهُبا؛ وغير تلك من الحكايات... لكنني، من بعد كل ما رويت، أدركني الصَّباحُ، ولَسْتُ شهْرَزاد".

وفي عام 2007م، قالَ ماكنتوش سميث عن سر حبه لصنعاء واختيارها مقاما لسكناه وعيشه، "لا تزال صنعاء جميلة، وهي من أهم المدن التاريخية العربية، ولأن أبي كان من محبي كتب الرحلات، ويملك مجموعة من الكتب من بينها كتب مصورة، كانت نفسي، تسول لي أن اطلع على كتبه وعلى صور اليمن خاصة، لي في اليمن ما يقارب الستة والعشرين عاما، وليست لدي أي رغبة في أن أغادرها. وإذا كان وطني هو العالم كله، فإن صنعاء هي مدينتي.

وخلال إقامته الطويلة في صنعاء اكتسب ماكنتوش سميث (البريطاني الصنعاني) لهجة سكانها، وكثيرا من عاداتهم، وأولها مضغ القات. وقد ضمّن الفصل السابع من كتابه، رأي أحد الحضارم فيه، وذلك على النحو الآتي:

"قبل ثلاث ساعات من أول مقيل لتخزين القات في "مبرز" حضرمي كنت قد بدأت أظن أن الحضارم ميالون إلى الكآبة والإملال. لم يبدأ المقيل بتجاذب الممازحة البريئة اللعوب التي تطبع فترة ما قبل "التخزين" في صنعاء، فسالم - داعينا إلى المقيل عنده- تربى في "كينْيَا"، وصار تاجرا في "سيئون"، لزم الحديث بنبرة عربية فصيحة رائعة، وكان موضوع حديثه الغالب حول تخصيب النخيل؛ أما ابنه وكان في أواخر عشرياته فقد جلس في وسط الغرفة تبدو عليه سيماء التضايق، وما كان ليتحَدَّث إلا إذا حدَّثه أحد.

ولما آنت ما تسمي بالساعة السليمانية، وأخذت أحس بتوفر القلق وأخذ دبيب حمى يَنْتَابُني... حتى توحيد الشطرين كان مضغ القات محظوراً في حضرموت، ولم يكن الحضارم قد انغمسوا في إيقاعه. أخذ مُخَزِّنَان متجاوران يتجاذبان حديثاً في السياسة. ولم يَخُض سالم فيما كانا يتحاوران فيه، بل أخذ من لحظة إلى أخرى يلتفت إلى ساعة معصمه. وخيل لي أنناً قد تجاوزنا حد مدة الاستضافة وأثقلنا المقام وإذا بسالم يهب واثباً فجأة منصرفاً عن المكان. حينئذ كان صوت الأذان يتردد لصلاة المغرب، وترك الآخرون المكان أيضاً، وعاد سالم إلى الغرفة فارغ الفَم (من تخزينه القات)، وشرع في الصلاة. ولما انتهى رشق نحوي ببعض القات، وشرع "بالتخزين" مرة أخرى. وبعد لحظة تَرَوٍّ قلت: "لماذا لا تواصلُ مضغ القات ثُمَّ تُصليّ فرضى المغرب والعشاء جمعاً؟" وبسرعان، ما نَدمْتُ على طرح السؤال. "وعلى فكرة، ذلك ما يفعله النَّاس في صنعاء"... قال، أنا في غاية البَيِّنة على الظاهرة. النَّاس في صنعاء ذوو سمعَة مشتهرة بتراخيهم في أداء فروضهم. وأضاف جاهراً:

**"خير أوقات الصلاة إذا أُذِنَ لها".**

إذا ترك المرء ما هو أقل من اللّهو من الأمور يتدخّلُ فيما هو فرض عليه مسلماً، فإن ذلك، صراحةً مِمَّا لا يصحُّ له عُذرٌ. لقد سَمعتُ حتى ما يقال إن من الناس من يُصلّون بدون أن يُخْرجوا القات من أفواههم بحُجَّة أنّه لا يؤثر بالضرورة على النُّطق السَّليم بترتيل آي الذكر الحكيم. وهذا في نظري..."

لقد انفتحت علبة الدُّود... وشعرتُ أنّ من واجبي أن أوقف تيار الجدال لأتَمَلّص من الحرج. "لرُبَّما كان خيراً لو لم أذكر ما قلت: وبعد كُل، فأنا لستُ حَتّى مسلم".

قال سالم، "حقّاً، أنت لست مسلماً. لكنَّك صنعاني كامل الصِّفات. بدت نواجذه ابتساماً. وضحكتُ ارتياحاً. لقد تكسَّر البَرَدَ أخيراً وسال ثُغَباً. وفي أثناء الحديث التّلقائيّ، تخفَّفت لغة سالم من وعثاء التّصنّع، والتشكيل الإعرابيّ".

أما الأكل وعادات الطعام في صنعاء –"جنة الله في الأرض"-، فقد وصفها ماكنتوش سميث بإسهاب في الفصل الأول من الكتاب، الذي أسماه (قاب قوسين أو أدنى من جنة السماء). وفيما يأتي الفقرات التي يقدم فيها (مطعم علي)، الذي يتناول فيه وجبة غدائه:

"لصنعاء مطبخ أهلي يميزها عما حولها من البلاد براعة واتقاناً. ولقد غدت وجبة غدائي هي نفسها دائماً حسب ما أوصى به ابن المجاور في القرن الثالث عشر الميلادي: خبز البُرّ، والحِلبة... - مسحوق الشعير الرومي (اليوناني)، يخفق بالماء خفقاً شديداً حتى يصير رغوة متجانسة، ومعهما اللحم، في (مطعم علي) حيث تراه واقفاً بلحمه ودمه تُجلّله غمامة من الدخان على مصطبة ترتفع فوق قاع المطعم، وهو يغترف المرق البقري مخلوطاً بالبيض، والأرز ومسحوق الفلفل الأخضر إلى صف من الحرض... وهي مواعين منحوتة من الحجر، وتصطف أمامه قدور "كالجوابي"، يتسع كل واحد منها لكي يُسْمَط فيه أحد المبشرين (القسس) الذين كان الناس في عدن يسمونهم "المُغَوِّين". ويباشر العمل تحت إمرة عَلِيّ فريق من التابعين الخلص يتفقدون اسطوانات الغاز التي تطل شواظ لهبها تزفر كالجحيم. وفي هذا الجو اللاهب الصاخب يستحيل أن يدور نقاش أو حديث؛ وليس بمستغرب أو مجهول، أحيانا، حصول انفجار ماحق في هذا الأتون المشحون. أما حرضة السَّلتَة، كما يسمى خليط محتواها، فتحضر إليك جمرة نار متقدة، محمولة بملقاط، ويرغى على سطحها وهج متماوج أخضر مصفر من الحلبة، ثم يؤْتَى إليك بكتل من اللحم شعلا في إناء شبيه "بالمقلاة الصينية" وعَلى ارتفاع عشرة أقدام فوق رؤوس الموجودين سقف أسود فاحم من جراء ما خرت نحوه وإليه من طلقات النار شواظٌ شديدة وشُهُبٌ من مواقد الطباخة. ويقعد بعض الروّاد القرفصاء على قاع المطعم، ومنهم من يجلسون على مقاعد أمام موائد منصوبة (وهم يلبسون البذلات ويعقدون ربطات العنق ويفدون من وزارة الخارجية الواقعة عبر الطريق من باب المطعم) والناس الذين لما تباشر خدمتهم ينادون مولولين، يزعقون متذمرين لكي يسترعوا الانتباه: "يا عَلي! يا علاي ي ي!"، ويستمر عَلي واقفاً منتصب القامة لا يُعيرُ منادياً أذنا صاغية ولا يبدي جسمه حراكاً ضمن قطع مكافئ... من الأذرعة- كلها ملكه ورعيته وكأنه صنم هندي مهيب. أما من قد نالوا الرضا وبوشرت خدمتهم، فيتناولون غداءَهم والسلتة تبقبق في وجوههم نافثة فقاعاتها، والعرق يتصبب من أجبنتهم، وتأخذ جدران المطعم تبدو وكأنها صورة ضوئية ضخمة لجَنّائن "قصر فرساي"- برياض زهورها المفضلة، وتماثيل حورياتها العذارى فاتنات المروج، وفسقيات روحنة الهواء وتطريته.

إن الغَدَاء في مطعم عَلي ليس أمراً متعلقاً بسَدِّ حاجة البطن أكلاً فحسب. إنه الخطوة الأولى على الطريق إلى "الكيف". وقد تناول السير رتشارد بُرتَن معنى "الكيف" فيما كتبه عنه قائلاً إنه يمكن أن يسمى، تذوق الوجود العيواني.. كنتيجة طَبَعيَّة منتشية، مرهفة، مُتَوَفِّزة، ورهافة أعصاب في أرقى مراحل إدراكها؛ إنها تُجيز ابتهاجاً شهيا ليس في جبلّة الإنسان المقيم في أقاليم العالم الشمالية إدراكاً له. لكن مترجم "لَيالي العربية (ألف ليلة وليلة) يُسَلم بهزيمته أخيراً فيستطرد قائلا: "الكيف كلمة لا تترجم إلى لغتنا الإنجليزية". أما المعجميون، الذين لا يخضعون للأمر الواقع بما يكفي، فقد وصفوا "الكيف" "بأنه مزاج تأطّرَ ذِهْنِيّ". ولكوني ماضغاً مواظباً لورقة شجرة القات، سأحاول أن أدلي بدلوي في تعريف "الكيف"، والحقيقة، أن مطعم عَلي يرتبط ارتباطاً وطيد الصلة بالأخلاط الأربعة. فالدم، والبلغم، والصفراء، والسوداء، لابد لها من أن يتلازم توازنها لكي يتوافر للإنسان اكتمال الصحة السليمة، أي ليتمكن ماضغ "القات" من بلوغ هدفه قصدا إلى "الكيف" من حيث أن القات يثير صفراء المرارة السوداء الباردة والجافة، ولأن هذين الخلطين ناري ومائي، فلابد من انعاشهما. ولذلك استُوجبَت الحرارة والعرق و"السلتة" الفوّارة. ولذلك أيضاً لزوم زيارة الحمامَات العامة قبل مضغ القات، والإصرار على أن تبقى النوافذ والأبواب مغلقة في أثناء التخزين (أي مضغ القات) واتخاذ الحيطة الشديدة لتجنب "الشانني" المَرهوب- وهو تيار هواء قارس ثاقب النفاذ إلى البدن، "ويكمن الموت في أثناء مسراه".

وختاما، يجدر بنا أن نشير إلى أن الأستاذ عبد الله فاضل فارع، قد قام بترجمة كتاب ماكنتوش سميث كاملا، بما في ذلك النصوص الخاصة بدار النشر، لكنه - ربما لظروف صحية- لم يكتب المقدمة التي طلبها منه المؤلف ماكنتوش سميث، في حين أنه ضمن ترجمته لمجموعة (رجال بلا نساء) مقدمة ودراسة تقع في نحو 60 صفحة. وقد ذكر الأستاذ عبد الله فاضل في سيرته التي ألحقها بترجمة (رجال بلا نساء، ص315)، إن نادي أصدقاء اللغة الإنجليزية في صنعاء قد احتفل بإنجازه لترجمة كتاب (اليمن؛ رحلات المتيم المهووس في بلاد القاموس).

***استلت جميع الاقتباسات الواردة في هذا العرض من مخطوطة الترجمة التي أنجزها الأستاذ عبد الله فاضل فارع لكتاب ماكنتوش سميث (اليمن؛ رحلات المتيم المهووس في بلاد القاموس).**

***مدير مركز عبد الله فاضل للدراسات الإنجليزية والترجمة**

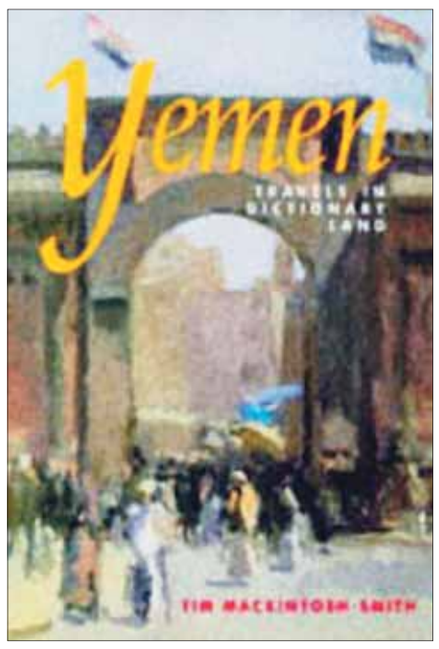


## قرأت لكم

# قراءة ليست عابرة في أقاصيص "زين"

سامي الشاطبي

### زامر من دون حي

أربعة نصوص قصصية قصيرة جداً .هي : (أمل . ثائر . إنسان . عليّ) . التي قرأها القاص / أحمد إسماعيل زين . في حصة القراءات الإبداعية . بالمهرجان العربي الثالث للقصة القصيرة جداً .. الذي أقيم في مدينة الناظور المغربية . أواخر شهر مارس للعام 2014م . هي التي أتناولها وهي تأت ضمن مجموعته القصصية التي صدرت مؤخراً بعنوان زامر الحي .. بداية – دون ترتيب – بهذه القراءة العابرة هنا الآن . لكي أختمها بقراءة أخرى سريعة لمجموعته القصصية (زامر الحيّ)(2)

### لا احد

لا أحد في أقاصيص السعودي / أحمد زين . يستحق أن يرفع صوته عالية في وجه الاستبداد . في وجه الظلم الكامن في أزقة المدن المترعة بالأحلام الصغرى . والكبرى معاً .

ويتجلى ذلك بادياً في أقصوصة (ثائر) : فالصوت الذي يعلو في وجه الطغيان فقد بحته .

وفي أقصوصة (إنسان) : القلب الذي وجد نفسه وحيداً جراء الطغيان . يقلب كتابه العتيق . أيّ يقلّب ماضيه التليد هروباً من مرارة حاضره . ليس ثمة إشكال تاريخي في أقاصيص (زين) . بل ثمة هروب إلى الماضي . وإلى المستقبل الغائم الغامض . في أقصوصة (أمل) .. ثمة نزوح . وانشداد . نحو التياه . تتكون سحابة الأفق لكن الأرض جافة . شبه مطبق للعربي في حالة التياه . ماذا يريد / أحمد إسماعيل زين ؟ لن يقول الإجابة !. فبركة . ملخص لغصته . ومثله . الغيب هو نشيد صامت مرير أثناء الانتظار . هروب نحو الماضي العتيد . بفكرة غامضة للمستقبل . فالحاضر المعاش هو : صمت . جبن . عاصفة قلقة بسؤالين مريرة : هل سيستمر الحال كما هو عليه ؟ أم هل سنتغير ؟! لكن ما فائدة بقاء الحال هنا ؟ دام المثقف هو صوت المجتمع ككل !. وتغيره معناه تغيّر نظرته القلقة للمستقبل . وهي انعكاس لتغيير فكرة المجتمع للمستقبل . من حق (زين) أن يحلم . لكن ليس من حقه أن يجعل حلمه خاصا به فقط ! . لأنه صوت لكل المجتمع . لذلك تجد أقاصيصه مليئة بالأحلام . مدوزنة بالأمل . رغم كل الضياع المحيط بالجميع من حوله . في أقصوصة (عليّ) . توظيفاً مناسبا للموروث الشعبي (الجيزاني)3 .. بالأقصوصة . ورغم ذلك : تتبدى حالة اللا ضياع الاجتماعي بين عاطفة تستثير الرغبة في الاستمرار .

وبين واقع يصرخ علناً ب (تمني الموت والدفن) . القاص / أحمد إسماعيل زين . قلم صادح بالأمل . بالأحلام المرجوة المنتظرة . رغم كل هذا الضياع النصي . والحزن القصصي المتغلغل في عمق أحرفه . كانت هذه القراءة العابرة – كما سبق وذكرت – من خلال ما سمعته من أقاصيص قرأها بالمهرجان العربي الثالث للقصة القصيرة جداً . وقبل ما ألتقي به بشكل شخصي في المهرجان . ويهديني مجموعته القصصية (زامر الحيّ) . ولكني حين تقربت منه بالمهرجان . وتعرفت عليه أكثر بقراءة نصوص مجموعته القصصية . وجدته إنساناً يهرب بالمرح مع الجميع من وجعه . وحزنه العميق الصارخ بوجعه . ووجع مجتمعه بين طيات نصوصه القصصية . ووجدته (يتيم) أعياه البحث عن حضن أمه الآمن . بشقيه الحقيقي . والرمزي . ليشعر بالراحة .

### الروشان!

ويتجلى هذا الشعور المُر بشكل أكثر وضوحاً من خلال نصوص المجموعة القصصية بشقه الحقيقي في نص (الروشان) . حيث إن (عائشة) . التي علم أنها لن تعود . هي (أمه) التي فقدها منذ الطفولة المبكرة . وتظهر بشقها الرمزي . في نص (رسالة إلى خوف أمي) . حيث أن (الأم) في هذا النص هي الأرض . والحياة . والوطن . التي يبعث لها رسائله المكتوبة بحبر وجعه . وخوفه . وقلقه المثقل على قلبه الحزين . ومن أراد أن يتأكد من ذلك ؟ ما عليه سوى التجول بين أنغام مجموعة (زامر الحيّ) القصصية ليجد سريعاً أنه ناي مبحوح بالألم .

### هامش:

1 - أمل . ثائر . إنسان . عليّ . أقاصيص قدمها القاص السعودي / أحمد زين . بمهرجان القصة العربية الثالث . بالناظور المغربية

2 - زامر الحي : مجموعة قصص قصيرة للقاص / أحمد إسماعيل زين . من إصدارات نادي جازان الأدبي . في عام 2009م .

3 - مدينة جازان السعودية . التي ينتمي لها القاص / أحمد إسماعيل زين .

## بورصة الكتب

# "الملك" في قائمة نيويورك تايمز للروايات الأكثر مبيعاً

احتلت رواية "الملك" لجي.ار. في المركز الأول في قائمة نيويورك تايمز للروايات الأكثر مبيعًا سواء للنسخ الورقية أو الالكترونية بينما حلت رواية "أستحضرك تحت جلدي" لماري هيجينس كلارك ثانيا.

وفي المركز الثالث جاءت رواية "الثلاثية الثابتة" للورلين بايج أما المركز الرابع فكان من نصيب رواية "تعويذة الظل" لنورا روبيرتس.

وهوت رواية "افتقدك" لهارلان كوبين للمركز الخامس والأخير بقائمة نيويورك تايمز للأسبوع الأخير.

وعلى مستوى الأعمال غير الأدبية للكتب الأكثر مبيعًا للنسخ الورقية والالكترونية كانت قائمة النيويورك تايمز للأسبوع الأخير كالتالي: جاء كتاب "أولاد الوميض" لمايكل لويس في المركز الأول بالقائمة بينما حل كتاب "الفردوس من اجل الواقع" لتود بوربو ولين فينسنت ثانيا.

وفي المركز الثالث كان كتاب "في الطابق الأعلى بالبيت الأبيض" لجي.بي.ويست وماري لين كوتز ورابعا حل كتاب "أكثر سعادة بنسبة 10 في المائة" لدان هاريس.

وكان المركز الخامس والأخير بالقائمة من نصيب كتاب "نماء" لأريانا هوفينجتون.

## مقاربة

# محسن سليمان خلف الستائر المعلقة

محمد الغربي عمران

خمسة عشر نصاً قصصياً هي باكورة إصدارات القاص الإماراتي محسن سليمان.. الصادرة في طبعتها الأولى من دار فضاءات 2012م والتي تقع في 103 صفحات.

تتنوع مواضيع نصوص المجموعة وعالجتها، كما تتعدد أساليب سردها من قصة إلى أخرى. وقد قدم لنا الكاتب في عدد من نصوص المجموعة تلك العلاقة العاطفية بين الذكر والأنثى بما تحمله من تبعات نفسية ذاتية لشخصيات النصوص، وكذلك ما تحمله من أبعاد اجتماعية ودينية، كما أطرها بالذاتية، كنصوص :خلف الستائر المعلقة وهذيان وذكرى في مهب الريح وحب وحسرة و..ويوم سهل ..ممتنع، وجه وتفاحة وفلم هندي.

وقد تجاوز الكاتب ذلك إلى ما هو أبعد من الذاتية.. حين عالج في أكثر من موضوع قضايا ذهنية ما يدل على أن الكاتب يجيد فن السرد مثل نصوص :دفن حيا واليوجا وغيبة مؤقتة، ولادة طارئة، الطير، سوبر شهيد.

وهناك نصوص تعالج قضايا العمالة الوافدة وتأثيرها على الحياة الاجتماعية الإماراتية ومن تلك النصوص: فلم هندي وليلام، والذي يناقش النص الأول تلك التحولات الاقتصادية والمجتمعية التي طرأت على مجتمع الإمارات وذلك الكم المتدفق من العمالة بعاداتهم وسلوكياتهم ومهنهم وما ينتج ذلك من علاقة إنسانية مع السكان الأصليين، في الوقت الذي أنتقل السكان المحليون للسكن في أحياء جديدة أحتل الوافدون تلك المساكن القديمة ليكونوا مجتمعا شبه منغلقا داخل المجتمع الكبير.

يرصد لنا الكاتب لحظة حنين ذلك الشاب إلى مسكن جدة فيقرر زيارة الحي القديم وهناك يكتشف ذلك المجتمع الذي يسكن الحي ويمارس حياته بشكل معزول ومنغلق ..

والنص الثاني (وليلام) يناقش قضية عامة قد تبدو في بداية أصدر النص بأنها قضية اجتماعية محلية لكنه يكشف الأمر ويتجاوز ذلك من معالجة موضوع وافد بائع متجول إلى إلى قضية تمثل ظاهرة يعيشها المجتمع الإماراتي في سنوات التحول من مجتمعات نامية منكفئة على نفسها إلى مجتمعات منفتحة ومتطورة ليتحول ذلك البائع المتجول من بائع يحمل سلعة البسيطة ويدور بها على رجليه إلى شخص يمتلك عربة محملة بسلع متنوعة، ثم يختفي فجأة، وباختفائه يطرح الكاتب عدة قضايا ولا يجزم على إحداها بل يعدد أسباب اختفاء ذلك الأفغاني وكأنه يعدد حالات مماثله لوافدين تحولوا إلى تجار كبار وآخرين إلى إرهابيين أو ضمن رجال سلطة كابول.

من خلال الأسلوب السهل والمتماسك تؤشر تلك على امتلك الكاتب ناصية السرد حين يختار مواضيعه مما يعيشه المجتمع من حوله ويلتقط تلك الأفكار من مشاهدات أو معايشات قد تصادفه، ليصيغها في قالب مشوق، وقد يلاحظ القارئ كم تحمل بعض نصوص المجموعة الرمزية العالية بشكل مدهش وبعيدا عن المواربة. مثل نصوص: امرأة وتفاحة والطير وغيبة مؤقتة وغيرها.

نصوص المجموعة تتسم بحبكة تتصاعد فيها حدة الصراع لينتقل ذلك الإحساس إلى القارئ، ليعيش شعور أزمة شخوص النص، ذلك الصراع إلى يحتدم لينتج عنه مزيد من الأسئلة، دافعا بالقارئ إلى المزيد من التوقع ومزيد من التحليل والاستنتاج مشاركا بذلك الكاتب في تخمين ماذا بعد ذلك الصراع.

وما يشد القارئ بدايات تلك النصوص قدرة الكاتب على جذب القارئ وتشويقه لمتابعة القراءة من أول جملة حيث يجيد لعبة التلغيز والإبهام من خلال جمل لا يستطيع القارئ الفكاك من متابعة كشف غموضها فمثلا يقول السارد في السطر الأول من قصة خلف الستائر المعلقة"..توقفت فجأة.. لا يمكنني العبث أكثر.. نفضت جسدي ..." وفي بداية نص ولادة طارئة يقول "ساد المكان صوت رهيب..الكل في ترقب..." وفي بداية نص شيء ما"... فزعة صحت من نومها..بحثت في فراشها عن شيء ما..." الخ تلك الجمل